

رسالة ملكية إلى المشاركين في أشغال المناظرة الأولى حول التعليم الموسيقي

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة سامية إلى المشاركين في
المناظرة الأولى حول التعليم الموسيقي التي انعقدت بالرباط أيام 5 و
6 و 7 ماي 1994.

« قد تلا الرسالة الملكية السيد محمد عزال سيناصو وزير الشؤون
الثقافية خلال حفل اختتام المناظرة.
وفي ما يلي نص الرسالة الملكية.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه
حضرات السيدات والسادة

إننا سعداء أن تتم هذه الندوة في كتف وعامتنا ومفتيطون أن يلتم هذا الجمع
بملكنا وقد تهيأت لنا أسباب تقييم تراثنا الموسيقي وقررت عزيمتنا على بعثه
وتوسيعه وترسيخه، ذلك أن التراث عموما والتراث الموسيقي خصوصا هو وديعة
استردعنا إياها أسلافنا النعمون فيجب علينا المحافظة عليها وإغناؤها حتى ترثها
من بعدنا حية نابضة كل الأجيال المتعاقبة. فالحفاظ على الودائع من شيم النفوس
الأيمة والهمم العالية وهذا أمر يهتم به العالم المعاصر في اتجاهاته المختلفة
لاهتمامه بالتراث البشري الهائل الذي نجد له في كل قطر من أقطار العالم ظلالا من
ظلال جناسه. وإذا كان المرء يكتشف سمر فكر المرء بقدر ما يتسامى فكره هو فإن
هذه الحقيقة أصبق بالنسبة للشعوب وأجل بها حينما تتخذ من تقديمها في العلم
وسيلة لتنمين الابتكارات والإبداعات التي ارتقت إليها أمم من قبلها.

ولاغرو أنكم في هذا البلد الأمين تشعرون بأ نوليه لفنون الموسيقى من عناية
خاصة ولرجالها من حظوة بالغة ورعاية موصولة نظرا لأهميتها في ثقافتنا الوطنية
وفي الثقافة العربية الإسلامية عامة. لذلك فإننا نحث النخبة النبيرة من الأساتذة
والهشمين بهذا المجال على مواصلة الجهود لبثور النتائج التي من شأنها تحسين
أساليب الخلق ورفع مستوى التعليم والسهر على جودة التكوين الموسيقي العام

في مجالات التلحين والعزف والأداء والتأليف وغيره، ويسعدنا أن تحتضن المملكة المغربية هذا اللقاء الذي نأمل أن يستفيد من مختلف المشارب ومتعدد المواهب وأن تكمل أعماله بالتوفيق والنجاح حتى يساهم في إبراز ما عرفت به مملكتنا التي برأها الله موقعا وسطا وجعلها حلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وأرض تسكن وحرار وتفاهم ولقاء بين جميع الثقافات والحضارات.

حضرات السيدات والسادة

من المعطيات الجديرة بالتدبر أن تكون فنون الموسيقى لغة للتواصل بين الأمم والشعوب وأن تتجاوز رسالتها هذه إلى إظهار التكامل الذي أبدعته مشيئة الخالق عز وجل، فجعلت في الكون المندار الملائم من معايير الأشياء والتجانس النام في خاصيات الأجرام والناسق في محبرات الأصوات بما دفع القدماء إلى اعتبارها ميدانا من اختصاص الراسخين في العلم والعارفين به وتلك فكرة أقرها مفكرو الإسلام ونبهوا على أن لكل صوت نغمة تصنعه وهبة تخصه ونبرة تميزه، وقالوا في تفسير قوله عز وجل «يزيد في الخلق ما يشاء» إنه الصوت الحسن.

لقد استقطبت الحضارة العربية الإسلامية الأهمية الشاملة لهذه الفنون التي نزل في المرء، كما قال ابن رشد أكثر من الخطابة والبرهان وتحشه على الشجاعة والاعتدال، فجعلت لكل حالة لها خاصا بها ولكل ساعة من ساعات النهار نغمة معينة لها وظهر الوله بنظرية متكاملة حول تأثير هذه النغمات وعلاقة الطبع الموسيقية المعروفة بالطباع البشرية والحالات النفسية والمشاعر المحددة وظهر أن الاستهلال مثلا يحث على الشجاعة والإقدام فيما تميز الاصبهان بنغمته الرقيقة حتى قيل ملائكة الرحمان يسبحون بالاصبهان.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى العمل الجليل الذي قام به مفكرو الإسلام في بحثهم عن أكرم السبل لعلاج الأمراض النفسية والعقلية كالكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة وغيرهم وتميز المغرب بتحقيق هذه الفكرة الرفيعة في مراكش ومراكش ومراكش سيدي فرج بفاس حيث كانت الموسيقى من وسائل التطبيب وأساليب الترفيه على المرضى واستمر العمل بها على هذا الشكل الناجع طيلة العصور العاتية كما اتخذت فردا يمتد في الميدان الذي أصبح اليوم بابا من أبواب الدراسات النفسية والطبية المتقدمة.

حضرات السيدات والسادة.

دخل الإسلام إلى المغرب وأخذ أهله كما هو معروف بمذهب الإمام مالك واتبعوا عمل أهل المدينة فوجدت تقاليد الفناء المتسمة بسماحة أهل الحجاز قبلها لدى المغاربة واستحسننا عند مختلف فئاتهم لما عرفوا به من تفتح صوب الرقة والحسن علوما كانت أو صنائع أو فنونا لا سيما صناعة الموسيقى والغناء التي هي مرتاد السمع ومرتع النفس وربع القلب فتوأجت وامتزجت تقاليد الغناء الوافد من تصب وحداً وهزج بالعادات المحلية القديمة وأصبح الكل يؤدي وظائفه في مختلف المناسبات الاجتماعية ثم ظهر مع مرور الزمن النوع المغربي الخالص المعروف بالسماع واقترن ظهوره بالمناسبات الدينية وأعظمها مناسبة إحياء الولد النبوي الشريف، وقد تجلت مهارة الفنانين المغاربة وابتكاراتهم فيه طيلة الحقب والعصور. وإلى جانب ذلك، كان تأليف الموسيقى وتلحينها دائماً من مظاهر الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا ويكفي أن نشير إلى ما ألفه ابن باجة المتوفى بقاس في عصر المرابطين وابن طفيل براكش على عهد الموحدين وابن الدراج المسمي في العصر المريني والمنجور في العهد السعدي، ثم ازدهرت هذه الحركة المباركة أيام ازدهار في ظل اجدادنا الحيامين الذين اكتنفوها برعايتهم وعينوا لها من التشجيع والعناية ما يذكر قبحمد واشتهر بالتلحين والتأليف على سبيل المثال عبد الرحمان الفاسي صاحب الاقنوم وأبو الحسن اليوسي مؤلف القانون والبرعصامي جامع إيقاد الشسوع والفقيه الحايك التطواني الذي تدين له موسيقى الآلة بحفظ تراثها إلى يومنا هذا وأتى بعدهم كما هو معلوم الفقيه المطبري والفقيه الجعدي والفقيه البرهمي وغيرهم ويكفي المغرب لخرا توثيقه بين العلم والفن والدين وأن شيوخ الموسيقى المغربية كانوا في الوقت ذاته علماء فقهاء.

وقد بلغ من ثراء الموسيقى المغربية أنه أصبح من العسير حصر أنواعها وأشكالها تفصيلاً وإجمالاً حيث نجد أصنافاً من الموسيقى التقليدية الغنية تعبر عن اهتمام المغاربة بالبناء الفني وتنسيق الأنغام والإيقاعات. فنجد في الموسيقى الشعبية أنواعاً تتميز بها الأنماط البدوية الأمازيغية كأحيدوس وأحواش وأغاني الروايس وأغاني الريف والأنماط البدوية المغربية كمختلف العيطات وموسيقى مناطقنا الصحراوية العروقة يشرانها وتنوعها كما يحب التنبيه إلى دور الموسيقى

الأندلسية والسماح والمديح عند رجال الزوايا والصوفيين الذين اعتمدوها وسيلة من وسائل التربية الروحية والجمالية والفوقية وقد كان لتلك التقاليد المربكة أثر على مختلف المدارس الموسيقية منها المدرسة العبرية التي استعملت شعر ابن جبريول فكان له تأثيره الواسع الذي بلغ جبال البرانس بل واجتازها إلى ما وراء ذلك. فالموسيقى المغربية تأخذ وتستثبط وتجدد وتتأثر وتؤثر منذ العهد القديم إلى اليوم حيث ما فتئت تتطور وتتطور المحيط الوطني والعام شأنها في ذلك شأن أنشطتها الثقافية العامة التي يطبعها ويفنيها عنصر الانسجام داخل التنوع ومبدأ الوحدة في إطار التعددية.

حضرات السيدات والسادة

ومن أجل هذا عملنا على تأطير العمل الفني بإحياء مهرجاناته ودعم ملتقياته والتركيز فيه على تميزات كل جهة من الجهات فأصدرنا أوامرا لإقامة مراكز جهوية لدراسة التلايد الشعبية والفنون الموسيقية وتوثيقها بمختلف الوسائل السمعية والبصرية حفاظا منا على التراث الموسيقي الوطني وتشجيعا على الخلق والإبداع مع المحافظة على هويتنا الموسيقية وعدم الانسياق وراء التيارات المبتذلة العابرة وأنطلاقا من تربيتنا الموسيقية الأصيلة التي تعتمد على سائر ألوان وغايات هذا التراث فإن باستطاعتنا أن نلج المعاصرة دون تناقض مع ماضينا المجيد والحافل.

إن إيماننا بقدرة المغرب على الاستمرار في الأخذ والعطاء وفي التبادل الذي ميزه وضع له بين الأمم والشعوب المتحضرة وجردها مرموقا يجعلنا نعتبر الفنون الموسيقية ميادانا نموذجيا للنمو الثقافي الشامل الذي نسعى إليه ونجتهد لتحقيقه وهذا هو المبدأ العام الذي استرشدناه عندما أصدرنا تعليماتنا لوزارتنا في الشؤون الثقافية من أجل وضع برنامج يعالج قضايا التعليم الموسيقي من خلال تشخيص أوضاعه ودراسة حالة الأطر الساهرة عليه من معلمين وأساتذة ومربين والتفسيق في هذا القطاع مع قطاعات التربية الوطنية والشبيبة والرياضة والجماعات المحلية.

وتقتضي هذه المسؤولية الملقاة على عاتق الوزارة الوصية على الفنون وشؤون الفنانين بالدرجة الأولى تزويد جميع مؤسسات التربية الموسيقية بالأطر الجيدة الكفأة من أجل ذبوع الثقافة الموسيقية وتوفير وسائل التعريف بقنونها وتدرسيها

في المصاهد العليا المدة لرفع مستوى المكونين والمبدعين، وفي هذا الإطار يجب ضبط المراحل والأهداف وإعطاء تقنية إصلاح المعهد الوطني للموسيقى ما تستحقه من عناية وأولوية وإقامة البنية التحتية به يتعاون بين الوزارة المعنية وولاية الرباط والجماعات المحضرية بها حتى يرتقى هذا المعهد إلى درجة معهد عال للفنون الموسيقية.

حضرات السيدات والسادة،

هكذا نكون قد نتعنا مجالات جديدة لتحريك الفنون ونشر تعليمها للناتئة والسهر على الجودة وتميزها كما نكون قد وضعنا الأسس اللازمة من أجل اختبار مناهج حديثة وإثارة المراهب وتشجيع المنتجين والمبدعين والشعراء والملحنين والعازقين والمغنين والنقاد والمستمعين أن العمل الفني الجاد الرصين جدير بكل دعم وسند في عهد السمعييات البصرية وتطوراتها المستمرة وتوجهات الاختصاصات الفنية المتباينة ونحن واثقون من أننا قادرون على الاستيعاب والابتكار والخلق والإبداع في ميدان قال عنه الحكيم الصيني كزنفوشوس: «إذا شئت أن تقف على ما بلغته الأمم في مضمار الحضارة فانتصت إلى مرسيلها»، لذلك نبارك لكم هذا الملتقى ونشعر له بكامل التوقيق.

أعانكم الله وسدد خطاكم وأفتح أعمالكم وقل اعطوا فسيرى الله عملكم وورسوله والمؤمنون صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.